

يَعْرِفُهُمْ بِذَلِكَ لثَلَا يُكْرِهُوهُ عَلَى الْأَكْلِ، أَوْ لثَلَا تَضِيقُ صُدُورَهُمْ بِامْتِنَاعِهِ مِنَ الْأَكْلِ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ مَاتَ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُصَمِّمْ عَنْهُ وَوَلِيَّهُ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قَالَ بَظَاهِرِهِ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْقَدِيمِ، وَحَمَلَهُ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ، عَلَى الْكُفَّارَةِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالصُّومِ، إِذْ كَانَتْ تُلَازِمُهُ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ صَوْمٌ، وَرَجُلَانِ صَوْمٌ، وَقَوْمٌ صَوْمٌ، وَامْرَأَةٌ صَوْمٌ، لَا يَشْتِي وَلَا يَجْمَعُ، لِأَنَّهُ نَعَتْ بِالْمَصْدَرِ، وَتَلْخِصُهُ رَجُلٌ ذُو صَوْمٍ، وَقَوْمٌ ذُو صَوْمٍ، وَامْرَأَةٌ ذَاتُ صَوْمٍ، وَرَجُلٌ صَوَّامٌ قَوَّامٌ، إِذَا كَانَ يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ. وَرَجَالٌ وَنِسَاءٌ صَوْمٌ، وَصِيَمٌ، وَصَوَّامٌ، وَصِيَّامٌ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَقَمْتُ بِالْبَصْرَةِ صَوْمِينَ، أَيَ رَمَضَانِينَ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: رَجُلٌ صَوْمَانٌ أَيُّ صَائِمٌ، وَصَامَ الْفَرَسُ صَوْمًا، أَيُّ قَامَ عَلَى غَيْرِ اعْتِلَافٍ، الْمَحْكَمُ وَصَامَ الْفَرَسُ عَلَى آرِيَةِ صَوْمًا وَصِيَامًا، إِذَا لَمْ يَغْتَلِظْ. وَقِيلَ: الصَّائِمُ مِنَ الْخَيْلِ، الْقَائِمُ السَّاكِنُ الَّذِي لَا يَطْعَمُ شَيْئًا. قَالَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيُّ: خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجْمَا. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فِي تَرْجُمَةِ صَوْنٍ: الصَّائِنُ مِنَ الْخَيْلِ، الْقَائِمُ عَلَى طَرْفِ حَافِرِهِ مِنَ الْخَفَاءِ، وَأَمَّا الصَّائِمُ، فَهُوَ الْقَائِمُ عَلَى قَوَائِمِهِ الْأَرْبَعِ، مِنْ غَيْرِ خَفَاءٍ. وَفِي التَّهْذِيبِ: الصَّوْمُ فِي اللُّغَةِ الْإِمْسَاكُ عَنِ الشَّيْءِ وَالتَّرْكُ لَهُ، وَقِيلَ لِلصَّائِمِ، صَائِمٌ، لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْمَطْعَمِ، وَالتَّشْرِبِ، وَالتَّمْنُكِ. وَقِيلَ لِلصَّائِمَةِ: صَائِمَةٌ، لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْكَلَامِ، وَقِيلَ لِلْفَرَسِ صَائِمٌ، لِإِمْسَاكِهِ عَنِ الْعَلْفِ مَعَ قِيَامِهِ، وَالتَّوْمُ تَرْكُ الْأَكْلِ، قَالَ الْخَلِيلُ: وَالتَّوْمُ قِيَامٌ بِلا عَمَلٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كُلُّ مُمْسِكٍ عَنِ طَعَامٍ، أَوْ كَلَامٍ، أَوْ سِيرٍ، فَهُوَ صَائِمٌ. وَالتَّوْمُ الْبَيْعَةُ، وَالتَّوْمُ الْفَرَسُ وَمُصَافَتُهُ، وَمَقَامُهُ وَمَوْاقِفُهُ. وَقَالَ امْرَأَةُ الْقَيْسِ: كَأَنَّ التَّرِيًّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسِ كَثَانٍ، إِلَى صَمِّ جَنْدَلٍ. وَالتَّوْمُ النَّجْمُ، مُعَلَّقُهُ. وَصَائِمَتِ الرِّيحُ، رَكَدَتْ، وَالتَّوْمُ، رُكُودُ الرِّيحِ. وَصَامَ النَّهَارُ صَوْمًا، إِذَا اعْتَدَلَ، وَقَامَ قَائِمُ الظُّهَيْرَةِ. قَالَ امْرَأَةُ الْقَيْسِ: فَدَعَّهَا، وَتَلَّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةِ ذَمُولٍ، إِذَا صَامَ النَّهَارَ وَهَجَّرَا. وَصَائِمَتِ الشَّمْسُ، اسْتَوَتْ، وَصَائِمَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ انْتِصَافِ النَّهَارِ، إِذَا قَامَ، وَلَمْ تَبْرَحْ مَكَانَهَا. وَبَنَكْرَةٌ صَائِمَةٌ، إِذَا قَامَتْ، فَلَمْ تَدُرْ. قَالَ الرَّاجِزُ: شَرُّ الدَّلَامِ الْوَلُغَةُ الْمُلَازِمَةُ، وَالتَّبَكَرَاتُ شَرُّهُنَّ الصَّائِمَةُ؛ يَعْنِي الَّتِي لَا تَدُورُ. وَصَامَ النَّعَامُ، إِذَا رَمَى بِذَرْقِهِ، وَهُوَ صَوْمُهُ الْمَحْكَمُ. صَامَ

النعام صَوْماً، ألقى ما في بطنه، والصَّوْمُ عُرَّةُ النعام، وهو ما يرمى به من دُبْرِهِ. وصامَ الرجل، إذا تَظَلَّلَ بالصَّوْمِ، وهو شجرٌ عن ابن الأعرابي. والصَّوْمُ شجرٌ، على شكل شخص الإنسان كَرِيه المَنظَرِ جدًّا، يقال لِشِعره: رُؤوس الشياطين، يُعنى بالشياطين: الحَيَاتُ، وليس له وَرَقٌ. وقال فقيه: للصَّوْمِ هَدَبٌ، ولا تَنشُرُ أَفئانَه، يَنْبُتُ نبات الأثل، ولا يَطُولُ طُوله، وأكثرُ مَنابته بلادُ بني شِبابَةَ. قال ساعدة بن جُوَيَّة: مُوكَلُّ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَرُقُّبُها، مِنَ المَنَاطِرِ مَخْطُوفُ الخِشَا زَرِمٌ شُدُوفُه شُحُوصُه. يقول: يَرُقُّبُها مِنَ الرُّغَبِ، يَحْسِبُها ناساً، واحِدَتُه صُومَةٌ. قال الجوهري: الصَّوْمُ شجرٌ في لغة هُدَيْلٍ. قال ابن بَرِي: يعنى قول ساعدة مُوكَلُّ بِشُدُوفِ الصوم يبصرها من المعازب مخطوف الخشا زرم، وفسره، فقال: مِنَ المَعازِبِ من حيث يَغْرُبُ عنه الشىء، أى يتباعد، ومخطوف الخشا، ضامرُه وزَرِمٌ، لا يَنْبُتُ في مكان، والشُدُوفُ الأشخاص، واحداها شُدْفٌ. قال ابن بَرِي: وصوامٌ جَبَلٌ. قال الشاعر: بِمُسْتَهْطِعِ رَسَلٍ، كَأَنَّ جَدِيدَه بِقَيْدُومِ رَغَنِ مِنْ صِوَامٍ مُنَمَّعٍ (ابن منظور، ١٩٩٨م: مادة صوم).

والصوم اصطلاح فقهي يطلق على امتناع الإنسان عن المبطلات - التي تأتي شرحها لاحقاً - منذ صلاة الفجر حتى المغرب لإنجاز التكليف الإلهية. والمبطلات هي ١. الأكل أو الشرب، ٢. الجماع، ٣. الاستمنا، ٤. الكذب على الله والرسول وأولياءه، ٥. إيصال الغبار الغليظ إلى الحلق، ٦. غمس الرأس كله في الماء، ٧. كون الإنسان جنباً أو حائضاً أو في النفاس حتى صلاة الفجر، ٨. الإمالة، ٩. الفجاء (الموسوي الخميني، ١٣٧٠ش: ٢٢٧).

الصوم في الأديان السماوية

الغالب على أحوال الأمم في جاهليتها وبخاصة العرب هو الاستكثار من تناول اللذات من المأكول، والخمور ولهو النساء، والدعة، وكل ذلك يوفر القوى الجسمانية والدموية في الأجساد، فتقوى الطباع الحيوانية التي في الإنسان من القوة الشهوية والقوة الغضبية. وتطفئان على القوة العاقلة، فجاءت الشرائع بشرع الصيام، لأنه يقى بتهديب تلك القوى،





إذ هو يمسك الإنسان عن الاستكثار من مشيرات إفراطها، فتكون نتيجته تعديلها في أوقات معينة هي مظنة الاكتفاء بها إلى أوقات أخرى.

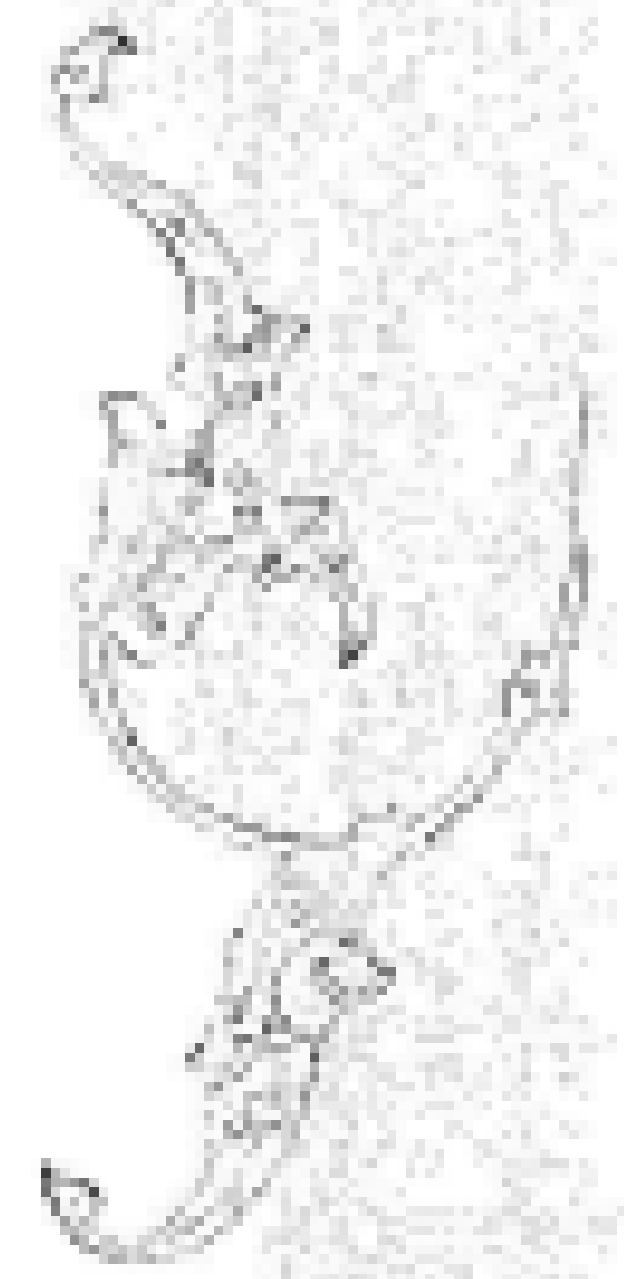
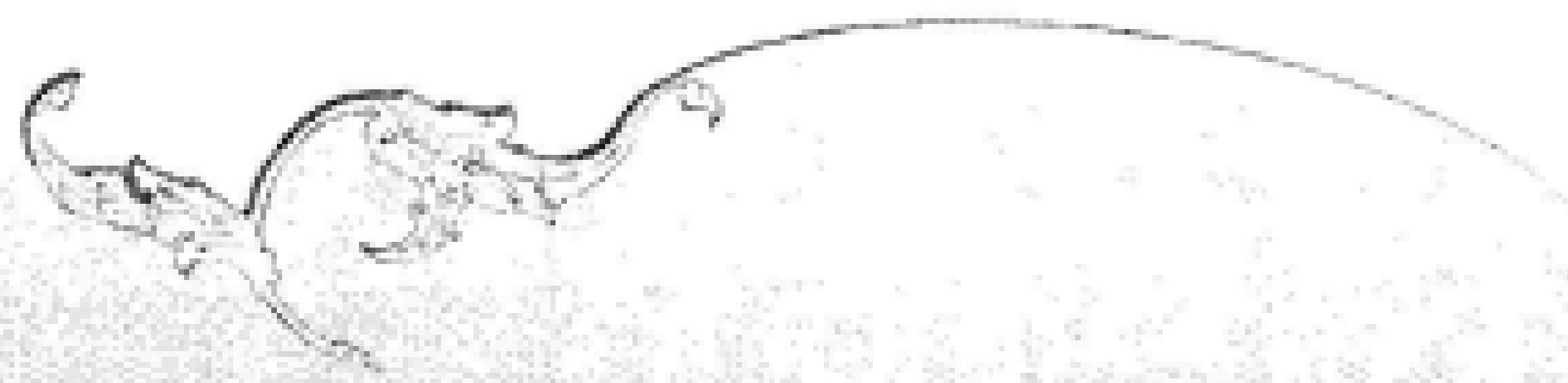
والصوم بمعنى إقلال تناول الطعام عن المقدار الذي يبلغ حد الشبع أو تركك بعض المأكّل: أصل قديم من أصول التقوى لدى الملمين ولدى الحكماء الإشرافيين، والحكمة الإشرافية مبناها على تركية النفس بإزالة كدرات البهيمية عنها بقدر الإمكان، بناء على أن للإنسان قوتين: إحداهما رُوحانية مُنبئة في قراراتها من الحواس الباطنية، والأخرى حيوانية منبئة في قراراتها من الأعضاء الجسمانية كلها، وإذا كان الغذاء يخلف للجسد ما يضيعه من قوته الحيوانية إضاعةً تنشأ عن العمل الطبيعي للأعضاء الرئيسية وغيرها، فلا جرم كانت زيادة الغذاء على القدر المحتاج إليه توفر للجسم من القوة الحيوانية فوق ما يحتاجه وكان نقصانه يفتّر عليه منها إلى أن يبلغ إلى المقدار الذي لا يمكن حفظ الحياة بدونه، وكان تغلب مظهر إحدى القوتين بمقدار تضاول مظهر القوة الأخرى، فلذلك وجدوا أن ضعف القوة الحيوانية يقلل معمولها فتتغلب القوة الروحانية على الجسد ويتدرج به الأمر حتى يصير صاحب هذه الحال أقرب إلى الأرواح والمجردات منه إلى الحيوان، بحيث يصير لا حظ له في الحيوانية إلا حياة الجسم الحافظة لبقاء الروح فيه، ولذلك لزم تعديل مقدار هذا التناقض بكيفية لا تفضي إلى اضمحلال الحياة، لأن ذلك يضيع المقصود من تركية النفس وإعدادها للعوالم الأخروية، فهذا التعادل والترجيح بين القوتين هو أصل مشروعية الصيام في الملل ووضعته في حكمة الإشراف، وفي كفيته تختلف الشرائع اختلافاً مناسباً للأحوال المختصة هي بها بحيث لا يفتت المقصد من الحياتين، ولا شك أن أفضل الكيفيات لتحصيل هذا الغرض من الصيام هو الكيفيّة التي جاء بها الإسلام. قيل في هياكل النور: النفوس الناطقة من جوهر الملكوت إنما شغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلتها، فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر تتخلص أحياناً إلى عالم القدس وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف، فمن الصوم ترك البراهمة أكل لحوم الحيوان

والاقتصار على النبات أو الألبان، وكان حكماء اليونان يرتاضون على إقلال الطعام بالتدرج حتى يعتادوا تركه أياماً متوالية، واصطلحوا على أن التدرج في إقلال الطعام تدرجاً لا يخشى منه انخرام صحة البدن أن يزن الحكيم شبعه من الطعام بأعواد من شجر التين رطبة ثم لا يجددها فيزن بها كل يوم طعامه لا يزيد على زنتها وهكذا يستمر حتى تبلغ من اليبس إلى حد لا يبس بعده فتكون هي زنة طعام كل يوم (ابن عاشور التونسي، ١٤١٥ق: ١٨٤).

وفي حكمة الإشراف للسهروردي: وقبل الشروع في قراءة هذا الكتاب يرتاض أربعين يوماً تاركاً للحوم الحيوانات مقللاً للطعام منقطعاً إلى التأمل لنور الله. وإذا قد كان من المتعذر على الهيكل البشري بما هو مُستودع حياة حيوانية أن يتجرد عن حيوانيته، فمن المتعذر عليه الانتقاع البات عن إمداد حيوانيته بمطلوباتها فكان من اللازم لتطلب ارتقاء نفسه أن يتدرج به في الدرجات الممكنة من تهذيب حيوانيته وتخليصه من التوغل فيها بقدر الإمكان، لذلك كان الصوم أهم مقدمات هذا الغرض، لأن فيه خصلتين عظيمتين؛ هما الاقتصاد في إمداد القوى الحيوانية وتعود الصبر بردها عن دواعيها، وإذا قد كان البلوغ إلى الحد الأتم من ذلك متعذراً كما علمت، حاول أساطين الحكمة النفسانية الإقلال منه، فمنهم من عالج الإقلال بنقص الكميات وهذا صوم الحكماء، ومنهم من حاوله من جانب نقص أوقات التمتع بها وهذا صوم الأديان وهو أبلغ إلى القصد وأظهر في ملكة الصبر، وبذلك يحصل للإنسان ذرابة على ترك شهواته، فيتأهل للتخلق بالكمال فإن الحائل بينه وبين الكمالات، والفضائل هو ضعف التحمل للانصراف عن هواه وشهواته:

إذا المرء لم يترك طعاماً يُحِبُّه ولم يَنَّهُ قلباً غاوباً حيث يمما
فبوشك أن تلقى له الدهر سُبَّةً إذا ذُكِرَتْ أمثالها تَمَلُّاً الفما

فإن قلت: إذا كان المقصد الشرعي من الصوم ارتياض النفس على ترك الشهوات وإثارة الشعور بما يلاقيه أهل الخصاصة من ألم الجوع، واستشعار المساواة بين أهل





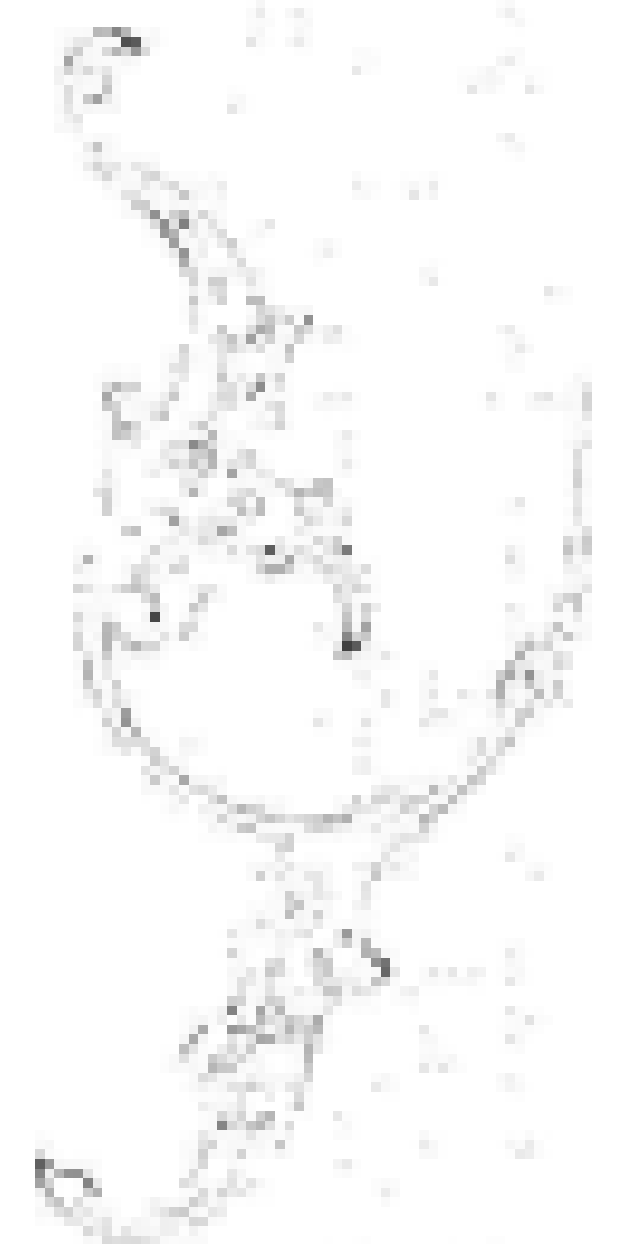
الجدة والرفاهية وأهل الشطف في أصول الملهذات بنى الفريقين من الطعام والشراب واللهو (ابن عاشور التونسي، ١٤١٥ق: ١٩٨).

وتأكيدا على ما أسلفناه قبل قليل بخصوص وجود الصيام في الأديان السماوية نشير إلى قول الله عز وجل حيث قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٣). وعندما نقرأ هذه الآية نعي أن الصيام أمر إلهي مطلوب في كل الأديان، لأن للصوم أهدافا، لا بد من بلوغها على مستوى كل الأديان منها: المواساة بين الغنى والفقير ليستشعر حاجته، والتذكير بالنعم التي تغفل عنها في زحمة الحياة، والتذكير في الآخرة، حيث أورد نبينا الأكرم في خطبة شهر رمضان: واذكروا بجوعكم وعطشكم، جوع وعطش يوم القيامة. ثم إن للصوم حكمة أخرى أشرنا إليه آنفا، ألا وهي: صوموا تصحوا، والتصوص تؤكد على أن للصوم أثره الفعال في الجانب الصحي. ولو نظرنا إلى كل الأديان لوجدنا قواسم مشتركة فيما بينها ألا وهي الارتقاء بالإنسان إلى مدارج الكمال فكيف تحدثت الأديان عن الصوم؟ الصوم في الإسلام: جاء في الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به. والصوم في الإسلام نوع من العلاقة بين العبد وربيه، وذلك لنيل الكمال الإنساني المطلوب من قبل المولى جل وعلا، فقطع النفس عن حاجاتها المادية، تعنى العودة إلى المصدر. فكلما ابتعد عن هذه الماديات كلما كان يسير باتجاه ربه أكثر. قال رسول الله (ص وآله): الصوم جنة من النار (أي حماية من النار). وبالصوم تتم عملية قطع التعلقات القلبية بالدنيا، وتقوية عامل الإرادة، والاستعداد للآخرة التي هي دار البقاء، وشهر رمضان، هو عبارة عن دورة تدريبية على مواقف الآخرة في هذا الشهر، حيث يفرغ الإنسان قلبه من كل التعلقات الدنيوية، ويغلق قلبه عما سوى الله. فقد جاء في الحديث القدسي: ما وسعتني أرضي، ولا سمائي، ولكن وسعتني قلب عبيد المؤمن. وباب العبور للعبادة الصحيحة، هو الصوم فقد جاء في الحديث: لكل شيء باب، وباب العبادة الصوم. فلذا كانت وصايا أهل البيت (ع) لنا أن لا يتحول صيامنا إلى صوم عن الطعام، والشراب،

بل أرادوا أن يكون صوما، حتى بالجوارح، والجوانح.
والصوم يحتل مكانة هامة ويعتبر في كل الأديان منسكا ومن الأمور التي تساهم في
تطهير الروح.

فالصوم في الإسلام كما عرفه النبي الأكرم: لكل شيء باب وباب العبادة الصوم، وأما
كيفية فقد تحدث القرآن الكريم: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ (البقرة: ۱۸۷). والشريعة السمحاء لم ترض
بالصوم عن الطعام والشراب فحسب، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، حيث نادى بصوم
الجوارح كالعين، واللسان، والسمع. وفم الصائم أطيب عند الله، من ريح المسك؛ وينعم
بفرحتين، إذا أفطر، وإذا لقي ربه.

أما أهل الأديان السماوية الأخرى كالتصاري فإنهم يتفقون معنا في الهدف الرئيسي
من الصيام، ولكنهم يختلفون معنا في التفاصيل. فالتصاري هم أهل الكتاب وأهل الإنجيل
وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام، وهو نبي من
أنبياء بني إسرائيل كما جاء في القرآن الكريم: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ؛ وَيُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (آل عمران: ۴۵ و ۴۶). كما قال تعالى: وَيُعَلِّمُهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ؛ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ
وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي
ذَلِكَ لآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؛ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا؛ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (آل عمران: ۵۱ - ۴۸). وفي المسيحية، الصوم هو الامتناع عن كل طعام،
وشراب، من نصف الليل إلى الاثنتي عشر ظهرا، بينما البعض الآخر يرى أن الصوم هو
امتناع عن الأكل والشرب من الصباح إلى المساء.





وهم يصومون عادة يوم الأربعاء من كل أسبوع لأنه يوم المشاورة على موت المسيح عندهم، ويوم الجمعة لأنه صلب عندهم فيه المسيح، ويوم الميلاد وعددها ٤٣ يوما تنتهى قبيل عيد الفصح. ودواعى الصوم عند إخواننا المسيحيين، هى الرغبة فى التعمق الروحى، وطلب القوة لقهـر العدو الروحى للإنسان ألا وهو الشيطان كما جاء فى إنجيل متى: «هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم». كما أن الصوم ليس للتكفير عن خطايا سابقة بل لأجل تقوية العلاقة مع الله (فعالى، ١٣٧٨ش: ٤٥).

كما يعبر لدى المسيحيين، الصوم عن تواضع الإنسان، ورجائه، ومحبته. وأما مسألة الأربعين يوما، فهى تعود إلى أن المسيح (ع) قد صامها فى البرية، تكتما، إشارة إلى التعبير الصادق عن الرجاء الذى يفتح القلب للبر الباطنى، ومن هنا فإن من أهم مميزات الصوم عند المسيحيين، هى السرية امتثالا لقول المسيح كما جاء فى كتبهم: «متى صمت، فأدهن رأسك، واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائما بل لايبك الذى فى الخفاء». ويقصد به الرب (سعيدى روشن، ١٣٧٥ش: ٧٨).

أما الدين السماوى الآخر، فهو اليهودية واليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع نبي الله موسى عليه السلام وكتبهم التوراة، وقد جاء ذكرهم فى القرآن الكريم كثيرا، لما لهم من صفات، وأخلاق مذمومة، وملعونة، كما جاء ذكرهم فى التنزيل العزيز: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُتَّفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (المائدة: ٦٤).

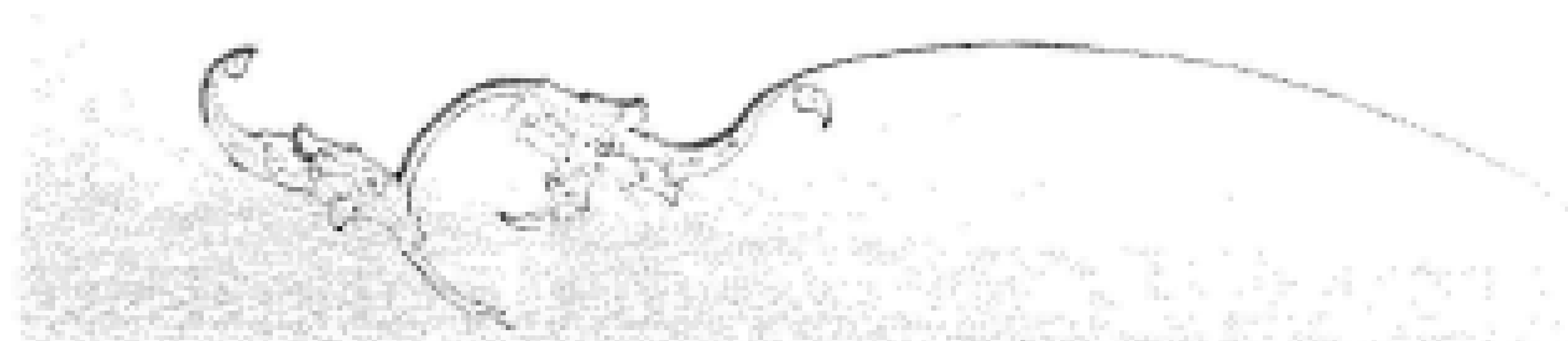
واليهود يصومون يوما واحدا فى السنة يسمى يوم الكفارة، ويبدأ صيامهم فيه من المساء إلى المساء، حيث يمتنعون عن الأكل والشرب، بينما يقوم المتعصبون منهم دينيا بصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع. فاليهود الأتقياء، كانوا يقومون بالصيام، بدافع تقواهم الص، وذلك إتماما لعنصر البر، كما حددته الشريعة والأنبياء. ونسأل أين هم اليوم من الشرائع السماوية وهم يستبيحون مهد الأنبياء؟ (فعالى، ١٣٧٨ش: ٩٢)

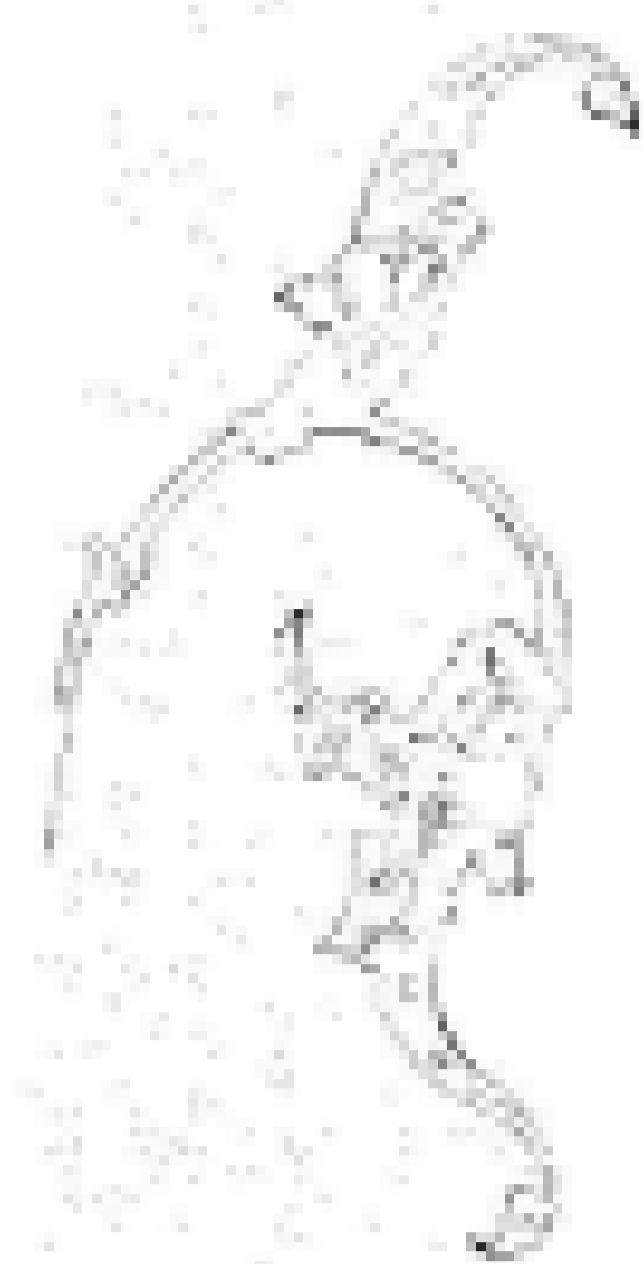
الصوم في القرآن الكريم

هناك آيات في القرآن الكريم تؤكد على ما ذكرناه آنفا بشأن وجود الصوم في الأديان السماوية قبل دين الإسلام، فهذه هي مريم التي علمها الله تعالى كيفية التعامل مع أهلها بعد أن رزقت بعيسى عليه السلام، إذ قال الله تعالى: فَإِنَّمَا تَرَيَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنُؤْكَلَ مِنَ الْيَوْمِ إِنَّسِيًا (مريم: ٢٦). أي: صمتا، وقري كذلك، وكان صيامهم السكوت، فكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطعام. وذكر ابن العربي في الأحوذى: أن نبينا -عليه وعلى آله الصلاة والسلام- اختص بإباحة الكلام لأمته في الصوم، وكان محرما على من قبلنا، عكس الصلاة.

وأشار الله تعالى في التنزيل العزيز إلى بعض أحكام الصوم مباشرة حيث قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ؛ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مِسْكِينٍ لِّئَلَّا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَأَن تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ الْبَشَرَ فَمَن يَسْرِ مِّنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة: ١٨٥ - ١٨٣).

كما أشار إلى أمور فقهية أخرى في هذه الآيات المباركة: أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٧). وهذا صيام شهر رمضان فيه تمرين النفوس على ترك محبوبها الذي ألفته طاعة لله ومحبة له، وتقربا إليه، وفيه من تعويد النفوس





وتمرينها على قوة العزيمة والصبر على طاعة الله، وفيه تقوية داعية الإخلاص لله، وتقديم محبته على محبة النفس، ولذلك كان الصوم لله، اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال، والصيام مهذب للنفوس، ومصفى للأرواح، ومطهر للأجسام، فله أثر عجيب في حفظ القوى الباطنة وحمايته من الخلط الذي يضر بالجسم ويفسد المعدة، ومن فوائد الصيام المحسوسة إحساس الصائم بحاجة الفقراء إلى المساعدة والمعونة، ولهذا أوجبه الله على جميع الأمم.

وجعل الله الصيام فدية للقصور في بعض المناسك، حيث قال جل وعلا: وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِيتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (البقرة: ١٩٦).

كما جعل الصوم كفارة لبعض الذنوب والمعاصي إذ قال عز وجل: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ قَدِيمَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء: ٩٢).

وقال تعالى: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المجادلة: ٣ و ٤).

وقال عز وجل: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة: ۸۹).

وقال جل وعلا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَيَاْلَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (المائدة: ۹۵).

ويكفينا من عظمة شهر رمضان أن الله تعالى أنزل القرآن في هذا الشهر وأشار إلى هذا بقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ: سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (القدر: ۵ - ۱).

الصوم، أنواعه، وأحكامه في الفقه الإمامي

هو عند الإمامية ركن من أركان الشريعة الإسلامية، وينقسم من حيث الحكم إلى ثلاثة أقسام: ١. واجب وهو قسمان: واجب بأصل الشرع، وهو صوم شهر رمضان، وواجب بسبب كصوم الكفارة، وبدل الهدى، والنيابة، والنذر، ونحوها ٢. مستحب: كصوم رجب، وشعبان، ونحوهما، وهو كثير ٣. حرام: كصوم العيدين وأيام التشريق، قيل ومكروه: كصوم يوم عرفة، وعاشوراء، وهو نسبي. والتزام الشيعة بصيام شهر رمضان قد تجاوز الحد، حتى أن الكثير منهم يشرف على الموت من مرض، أو عطش، وهو لا يترك الصيام، فالصلاة والصوم هما العبادة البدنية المحضة.

الصيام في كل الأيام مستحب عدا ما يجب فيه الصيام كأيام شهر رمضان وعدا ما يحرم فيه الصيام بالذات كيومي العيدين وما يحرم الصيام بالعارض كصيام يوم العاشر في محرم فرحاً بمقتل الحسين وأهل بيته (عليهم السلام).

يستحب الصيام للإنسان إذا توفرت فيه الشروط التالية. الأول: أن لا يكون مريضاً



أو يسبب له الصيام مرضاً. الثاني: أن لا يكون مسافراً، ويستثنى من ذلك الصيام ثلاثة أيام في المدينة المنورة لقضاء الحاجة في أيام الأربعاء، والخميس، والجمعة، على نحو التابع. الثالث: أن لا تكون المرأة حائضاً أو نفساء. الرابع: أن لا يكون على المكلف قضاء شهر رمضان ولا صيام الكفارة والتعويض. إذا كان عليه صيام واجب بالنذر ونحوه فلا يمنع هذا الصيام المستحب فيجوز له أن يصوم صياماً مستحباً ويصح منه (حلي، ١٤١٠ق: ٧٦).

إذا استأجر نفسه للصيام عن غيره فوجب عليه أن يصوم عن الغير، فمثل هذا الصيام الواجب بالإجارة لا يمنع عن الصيام المستحب، فيجوز له أن يصوم صياماً مستحباً ويصح منه.

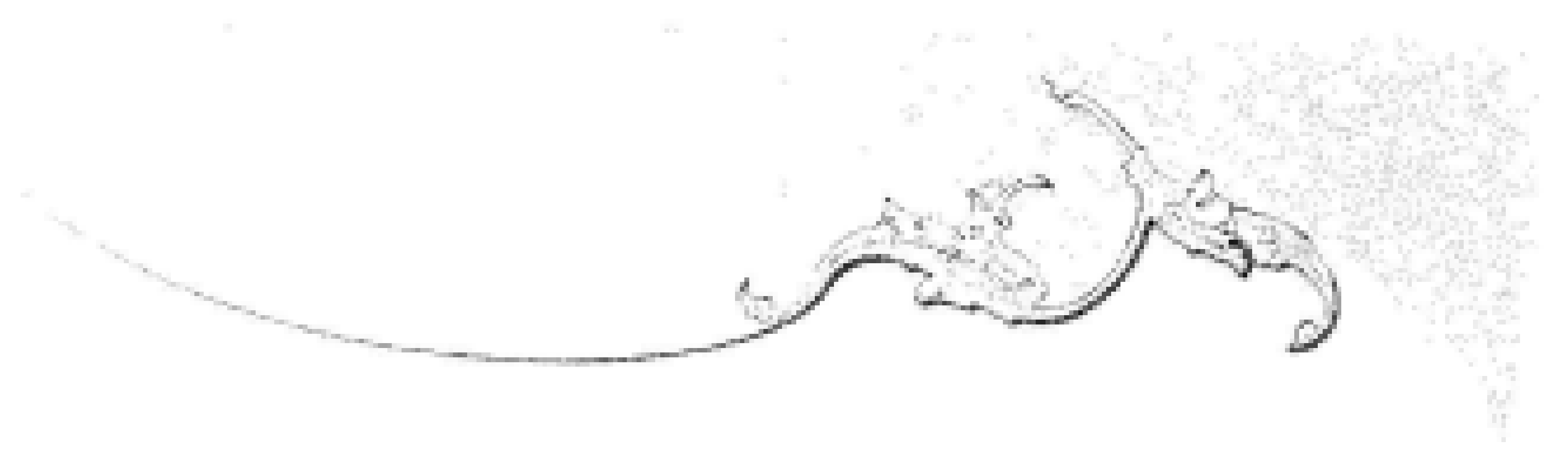
إذا كان على المكلف قضاء صيام رمضان أو كان عليه صيام الكفارة أو صيام التعويض فإنه ١. لا يصح، ولا يجوز له أن يصوم صياماً مستحباً عن نفسه، ٢. لا يصح، ولا يجوز له أن يتبرع بالصيام عن غيره، ٣. يصح ويجوز له أن يؤجر نفسه للصيام عن الغير وفي هذه الحالة إذا صام عن الغير صح ذلك منه حتى ولو كان عليه القضاء أو صيام الكفارة أو صيام التعويض، ٤. يبطل نذره فيما إذا نذر أن يأتي بالصيام المستحب قبل صيام القضاء أو صيام الكفارة أو صيام التعويض فالنذر باطل من الأساس ولا يصح منه ذلك الصيام المنذور، ٥. يصح نذره فيما إذا نذر الإتيان بالصيام المستحب بدون تحديد بأن يكون قبل صيام القضاء أو قبل صيام الكفارة أو صيام التعويض، وفي هذه الحالة يتعقد نذره، ويصح ولكن يجب عليه: أولاً، أن يقضى ما عليه من صيام، أو يؤدي ما عليه من صيام كفارة أو تعويض، وبعد ذلك يصوم ما نذره. يصح الصيام المستحب من المرأة بدون إذن زوجها، نعم إذا طلب منها ترك الصوم، بدافع الرغبة بالاستمتاع بها ومقاربتها فلا يصح منها الصيام المستحب. يكفي في نية الصيام المستحب أن ينوي في الليل صيام نهار الغد قربة إلى الله تعالى. يستمر وقت ومجال النية للصيام المستحب إلى آخر النهار.

إذا لم يكن المكلف قد مارس في نهاره شيئاً من المفطرات، وبدأ له أن يصوم استحباباً قبل الغروب بساعة أو بضع دقائق (مثلاً) جاز له أن ينوي الصيام المستحب، ويصح منه ولا يضر بذلك أنه لم يكن ناولياً للصيام طيلة النهار أو أنه كان عازماً على الإفطار ما دام لم يفطر فعلاً (فيض، ۱۳۷۱ ش: ۵۹).

يجوز للإنسان في الصيام المستحب أن يصبح جنباً متعمداً، فإذا حصلت منه جنابة في الليل وهو يريد أن يصوم في النهار استحباباً فلا يلزمه أن يغتسل قبل طلوع الفجر، ويصح صيامه وكذلك إذا أفاق من نومه صباحاً فوجد نفسه محتتماً جاز له أن يصوم ذلك النهار استحباباً.

يجوز للصائم صياماً مستحباً أن يهدم صيامه متى شاء قبل الزوال أو بعده، ولا شيء عليه. يتحصل مما سبق بعض الأمور: الأول، المفطرات التسعة تشترك فيها كل أنواع الصيام. الثاني، الإفطار عن سهو، ونسيان لا يبطل الصيام بكل أنواعه. الثالث، النية لا يجوز أن تتأخر عن طلوع الفجر في صيام شهر رمضان وفي الصوم المنذور وفي يوم معين، والنية تمتد إلى ما بعد طلوع الفجر لكنها لا يجوز أن تتأخر عن الزوال بل يجب أن تحدث قبل الزوال. هذا في باقى أنواع الصيام الواجب، والنية يستمر وقتها إلى ما بعد الزوال في الصيام المستحب. الرابع، تعدد البقاء على الجنابة ليلاً إلى أن يطلع الفجر لا يجوز في شهر رمضان، ويبطل به الصيام وكذلك يبطل به صيام قضاء شهر رمضان وكذلك يبطل به صيام الكفارة الواجب وطعام التعويض الواجب، أما في الصيام المستحب أو الصيام المستحب الذي يجب بنذر أو عهد أو بيمين، فلا يضر بها تعدد البقاء على الجنابة بل تقع صحيحة. الخامس، الإصباح محتتماً أى إذا أفاق من نومه صباحاً فوجد نفسه محتتماً، فإنه يضر بصيام قضاء شهر رمضان ويبطله أما باقى أنواع الصيام فلا يبطلها الإصباح محتتماً. السادس، نسيان غسل الجنابة حتى يطلع الفجر، يبطل لصيام شهر رمضان. ولصيام قضاء شهر رمضان. أما باقى أنواع الصيام الواجب، والمستحب فلا يبطلها نسيان غسل الجنابة حتى يطلع الفجر بل الصيام صحيح.





السابع، هدم الصيام، والإفطار لا يجوز في كل صيام واجب معين وجب صيامه في ذلك النهار كصيام نهار شهر رمضان أو صيام نهار نذر مكلف أن يصومه بالذات أما في صيام قضاء شهر رمضان، فيجوز الإفطار وهدم الصيام قبل الزوال أما بعد الزوال فلا يجوز الإفطار وفي غير تلك الحالات يجوز هدم الصيام والإفطار مطلقاً سواء كان قبل الزوال أو بعده، الثامن، لا يصح الصيام بكل أنواعه من المريض الذي يضر به الصوم، التاسع، لا يصح الصيام بكل أنواعه من الحائض والنفساء، العاشر، لا يصح الصيام في السفر إلا إذا أصبح واجباً بالنذر ونصّ الناذر على ذلك، وإلا في بعض أقسام الصيام كصيام الكفارة وصيام التعوى (حلبى، ١٤١٠ ق: ٨٣).

الصوم في الشعر العربي

كان لفظ الصيام موجوداً في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وإذا كان هذا اللفظ لا يدل على هذا المعنى الذي نقصد به في شريعتنا الإسلامية فإنه كان بمعنى الامتناع عن الطعام، والشراب، أو الإمساك، والترك؛ فنرى النابغة الذبياني يقول:

خيلُ صِيَامٍ وخيلُ غيرِ صائِمَةٍ تحت العجاجِ وخيلُ تغلِكَ اللُجُما

(النابغة الذبياني، ٢٠١ م: ١٣٢)

بينما قال الأعشى في نفس المعنى:

وقوفاً بما كان من لأميةٍ جلعٍ مع علومٍ شائبةٍ بلكن اللحم

(الأعشى، لاتا: ١٥٦)

كما أنشد ليبيد بن ربيعة العامري في وصف فرس وهو أحد الشعراء البارزين في تلك

الحقبة:

وَصَحْمِ صِيَامٍ بَيْنَ صَمْدٍ وَرَجُلَةٍ وَيَسْطِي تَوَامٍ بَيْنَ مَيْتٍ وَمَذْنَبِ

(العامري، ١٩٨٢ م: ٣٢)

هذا وأنشد بشر بن أبي خازم في نفس المعاني التي سبقت في شعر هؤلاء الشعراء:

أَتُوْعِدُنِي بِقَوْمِكَ يَا ابْنَ سَعْدِي وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ دِمَامِ
مَنْ مِى مَا أَذْخُ فِى أَسَدٍ تُجِئْنِي مَسْؤَمَةٌ عَلَى خَيْلِ صِيَامِ
تَسَابِعُ نَحْوِ دَاعِيهَا بِسْرَاعًا كَمَا أَسْأَلُ الْفَرِيدُ مِنَ النِّظَامِ
(الأصفهاني، ١٩٩٧، ج ٥، ص ٢٤٠)

إلى أن ظهر الإسلام وانتشر في شبه الجزيرة العربية. وبالرغم من ركود الأسواق الشعرية، اتجه بعض الشعراء نحو القريض. وظلت التعاليم الإسلامية تنعكس في شعر صدر الإسلام بين مؤيد ومعارض. والمعارضون كانوا في الغالب من الذين لم يسلموا أو الذين أسلموا إسلام سوء كشبيل بن ورقاء، وهو من زيد بن كليب بن يربوع، وكان شاعراً جاهلياً، أدرك الإسلام وأسلم إسلام سوء، وكان لا يصوم شهر رمضان، فقالت له بنته، ألا تصوم؟ فقال:

تَأْمُرُنِي بِالصُّومِ لَا دَرَّ فَرْحًا وَفِي الْفَيْرِ صَوْمٌ لَا أَبَاكَ طَوِيلُ
(المصدر نفسه، ج ١٢: ١٩٢)

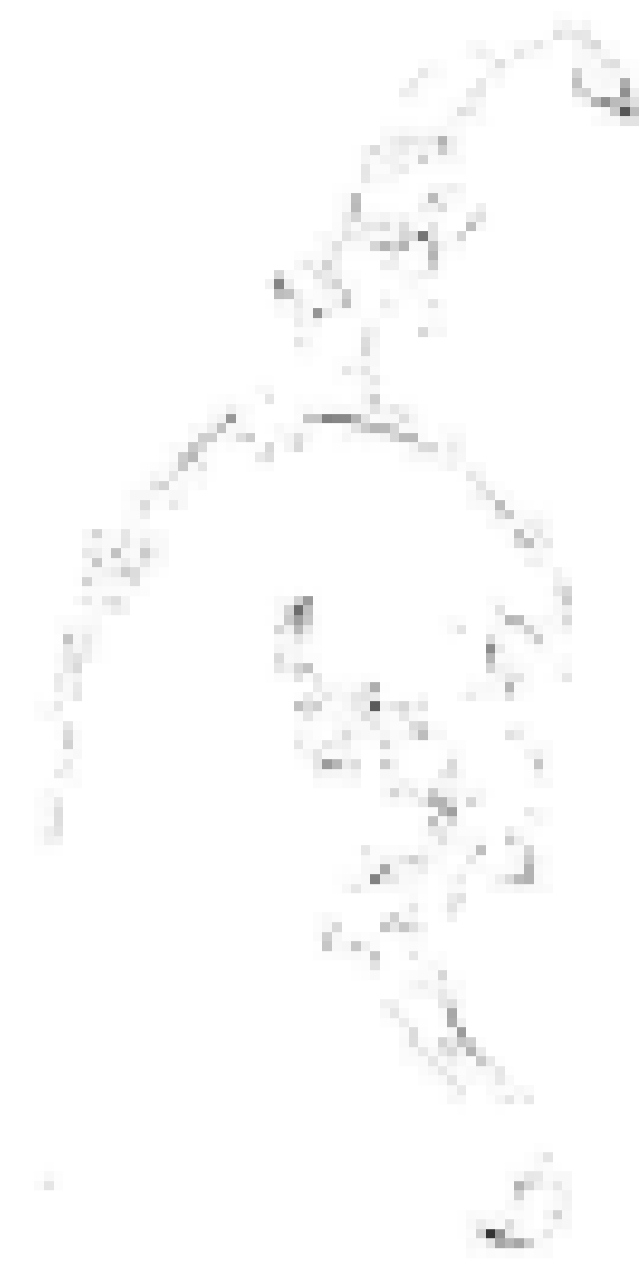
وبالرغم من كل هذا كان هناك شعراء دافعوا عن الإسلام بالمعنى الحقيقي للكلمة، ورفعوا لواء الإسلام ومدحوا النبي وآل بيته المعصومين، منهم كعب بن زهير الذي حصل على بركة النبي المباركة، فهذا هو ينشد مخاطباً زوجته:

فَاصْبِرِي مِثْلَ مَا صَبَرْتُ فَإِنِّي لَا إِخَالَ الْكَرِيمِ إِلَّا صَبْرًا
أَتَى حِينَ وَقَدِ دَيْبٌ وَدَيْبٌ وَلَسْنَا مِنْ بَعْدِ ذَهْرٍ ذَهْرًا
أَخْرَجَ الشَّيْرَ وَالْهَوَاجِرَ مِنْهَا قَطْرَانَا وَلَوِزْبُ عَصِيرَا
يَوْمَ صَوْمٍ مِنَ الظَّهِيرَةِ أَوْ يَوْمِ مَ حُرُورِ يَلْوُخِ الْيَعْفُورَا
(ابن زهير، ١٤١٧ق: ٤٧)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ناقش الشعراء موضوع الصوم في شعرهم وأشادوا بفضله كما أشاروا إلى تفاصيل هذه العبادة، قال بعضهم:

إذا حاولت صومَ الدهرِ فاقصد صيام ثلاثة من كل شهر





وشهر الصبر إن الصوم فيه
ويجزى الربُّ فعل العبدِ فضلاً
يكفِّرُ كلَّ معصيةٍ ووزرٍ
ولطفاً منه واحدةً بعشرٍ
(السيوطي، ١٩٩٠م: ١٩٨)

وفي العصور التالية ظهر أثر الصيام في الشعر كثيراً إذ ذكره شعراء كثيرون، لا يمكن الإشارة إلى كل هؤلاء في هذه العجالة، ومن العصور الخصبة لموضوع الصيام يمكننا أن نشير إلى العصر العباسي الذي أكثر فيه الشعراء ذكر الصوم وما يتعلق به، كما نرى أياً منصور الثعالبي يرحب بهذا الشهر الكريم:

سلامٌ على العملِ الصالحِ
سلامٌ على الشَّنِّ المستقيمِ
سلامٌ على صومِ يومِ الهجرةِ
وغيادٍ من الشُّكِّ أو رائجِ
سلامٌ على الشَّجرِ الرَّايحِ
وهبةٍ ذي مدمعٍ سافحِ
(الخفاجي، ٢٠٠٤م: ٢٧)

وأشار محي الدين بن عربي إلى هذه المناسبة الدينية في أشعاره بكثرة منذ بدء هذا الشهر المبارك وحتى آخره:

أهلُّ الهلالِ لشهرِ الصيامِ
فصامَ الحكيمُ على أسِّ الصلواتِ
وقالَ أنا الحقُّ فأستمعوا
تعالى الهلالُ بأوصالِهِ
وشهرِ الزكاةِ وشهرِ القيامِ
وأفطرَ ذاتاً بدارِ السلامِ
بنورِ التجلِّي وحسنِ الكلامِ
على بدارِ الفردِ عندَ التمامِ
(ابن عربي، ٢٠٠٥م: ١٢٤)

وتأكيداً لمكانة الصوم العظيمة، يتحدث محي الدين بن عربي في الآيات التالية عن الصوم، ويحيد تكرار الكلمة للتعظيم، كما يشير إلى أن هذه العبادة لله عز وجل وهو بذلك يشير إلى الحديث القدسي المشهور: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به.

الصومُ لله العظيمُ بشرعه
الصومُ لله الكريمِ وليس لي
وإذا أضيفَ إليَّ كان محالاً
لكنَّ إذا ما صمتُهُ وتعالى

عن صومنا فيكون ذاك الصوم لى
 إن الصيام له العلو جلاله
 وعلو قدر العبد فيه خضوعه
 والفطر لى بالكر و هو حقيقتى
 تقصاً وفى حق الإله كمالا
 صام النهار إذا النهار تعالى
 حتى يكون من الخضوع سفا
 فإذا فتحت جعلته المحللا
 (المصدر نفسه: ۱۱۲)

واستخدم المتنبي شهر رمضان فى إحدى مدائحه، وهو شاعر لائرى فى قصائده
 روح المضامين الدينية:

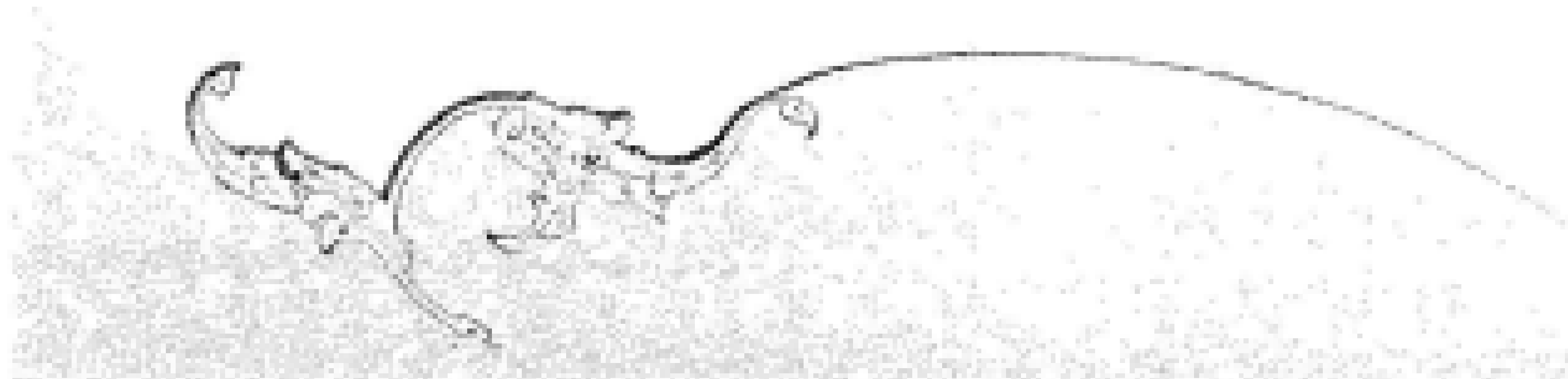
الصومُ والفطرُ والأعيادُ والعُصْرُ
 ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ أنفُ
 ما ينتهى لك فى أيامه كرمُ
 فإن حظك من تكرارها شرفُ
 منيرةٌ بك حتى الشمسُ والقمرُ
 يا من شمائله فى دهره زهرُ
 فلا انتهى لك فى أعوامه عُمرُ
 وحظُّ غيرك منها التومُ والشهرُ
 (المتنبي، ۱۹۹۵م: ج ۳، ص ۱۲۷)

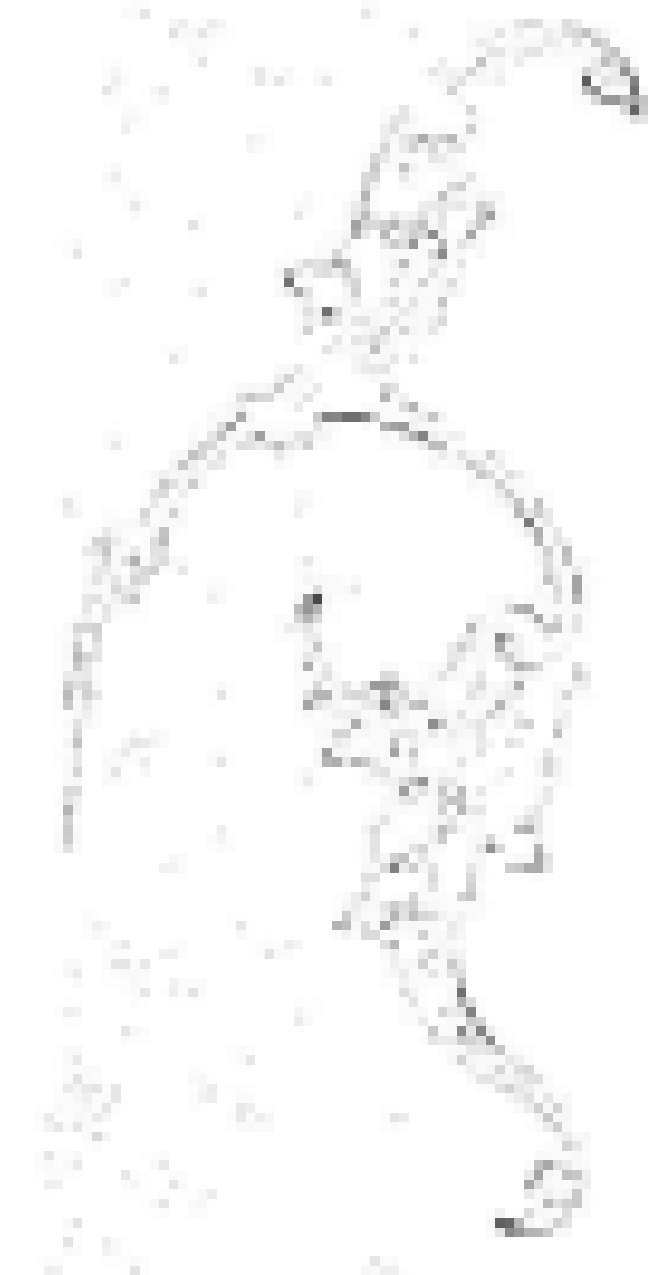
ويبحث أبو العلاء المعرى على الصوم والصلاة فى لزومياته ما يؤكد نزعاته الدينية،
 خلاف ما يتصوره البعض حول إلحاده:

وأعجزُ أهلِ هذى الأرضِ غاوى،
 وصُم رمضان مُختاراً مُطيعاً،
 أبا ن العجزَ عن خمسِ فريضته
 إذ الأقدامُ من قيظِ رَمِضته
 (أبو العلاء المعرى، ۱۹۹۷م: ۱۸۴)

ولكنه أشار فى مكان آخر أن هذه المناسك ليست إلا لوصول الإنسان إلى غايات
 كبرى ولم يجعل الله هذه المناسك لعذاب الإنسان بل لتركه المعاصى:

ما الخيرُ صومٌ يذوبُ الصائمونَ له،
 وإنما هو تركُ الشرِّ مُطَرِحاً،
 ما دامت الوحشُ والأنعامُ خائفَةٌ
 ولا صلاةٌ، ولا صوفٌ على الجسدِ
 ونفضُك الصدْرَ من غلٍّ ومن حَسَدِ
 فَرَساً، فما ضحَّ أمرُ النَّسكِ للأسدِ
 (المصدر نفسه: ۸۲)





وابن المعتز بوصفه أميراً شاعراً يرحب بالعيد في أحسن صورة أدبية:

قَدْ انْقَضَتْ ذُوْلَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُنْمُ الْهَيْلَالِ بِالْعِيدِ
يَتَلَوُّ الثَّرِيًّا كَفَاغِرِ شَيْبِهِ يَفْتَحُ فَاةً لِأَكْلِ عُنُقُودِ
(ابن المعتز، ٢٠٠٣م: ٦٥)

وها هو يشير إلى هلال العيد في مكان آخر:

أَهْلًا بِفِطْرِ قَدْ أَضَاءَ هَلَالُهُ فَالآنَ فَاغْدُ عَلَى الصَّحَابِ وَتَكْرِ
وَانظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِقٍ مِنْ فِطْرِهِ قَدْ انْقَلَبَتْ حَمُولَةٌ مِنْ غُنْبَرِ
(المصدر نفسه: ٧٣)

وهكذا يقول ابن الرومي في ختام رمضان واستقبال عيد الفطر:

ولما انقضى شهر الصيام بفضله تجلَّى هلالُ العيد من جانبِ الغربِ
كحاجبِ شيخٍ شابٍ من طولِ عمرِهِ يشيرُ لنا بالرمزِ للأكلِ والشُّربِ
(ابن الرومي، ١٩٨٥: ٤٩)

النتيجة

رأينا في السطور السابقة أن شهر رمضان بكل ما يتضمنه من معانٍ دينية وروحية، لم يكن مناسبة يغفلها الأدب والشعر العربي، وكذلك وجدنا الأدباء والشعراء، في مختلف العصور يحتفلون بهذا الشهر الكريم، ويحسنون استقباله من خلال إظهار آثار الصوم على عادات الناس وسلوكياتهم، باعتباره شهراً للهداية، والنصر، والكرم، والجود، وحسن الخلق، كما هجا الشعراء من يرتكب المعاصي في رمضان.

ورأينا أن الأدب العربي منذ عصر صدر الإسلام، حفل بكثير من صور التعبير عن الحب والتقدير لشهر رمضان الكريم. واستمرت هذه الصور الشعرية لدى الشعراء ورأينا الشعراء في العصر العباسي يخلقون صوراً شعرية رائعة في وصف رمضان، والهلال، وقدم العيد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس، ١٩٨٥م. الديوان، تحقيق مفيد قمحة، بيروت: دار الفكر
- ابن المعتز، عبدالله، ٢٠٠٣م. الديوان، تقديم راجي الأسمر، بيروت: دار الكتاب العربي
- ابن زهير، كعب، ١٤١٧ق. الديوان، بيروت: دار الكتاب العربي
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر، ١٤١٥ق. التحرير والتنوير في التفسير، بيروت: دار التراث الإسلامي
- ابن عربي، محي الدين، ٢٠٠٥م. الديوان، دمشق: دار الهلالي
- ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٩٩٨م. لسان العرب، بيروت: دار صادر
- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبدالله، ١٩٩٧م. اللزومات، دمشق: دار ابن كثير
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ١٩٩٧م. الأغاني، بيروت: دار الفكر
- الأعشى، ميمون بن قيس، لانا، الديوان، بيروت: دار الكتاب العربي
- حلي، تقي بن نجم، ١٤١٠ق. الكافي في الفقه، بيروت: مؤسسة فقه الشيعة ودار الإسلامية
- الخفاجي، محمد عبد المنعم، ٢٠٠٤م. الحياة الإسلامية في العصر العباسي، بيروت: دار الوفاء
- سعيدى روشن، محمد باقر، ١٣٧٥ش. تحليل الوحي عن منظور المسيحية والإسلام، طهران: مؤسسة الفكر للثقافة
- السيوطي، جلال الدين، ١٩٩٠م. الأزدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، القاهرة: نهضة مصر
- العامري، ليبيد بن ربيعة، ١٩٨٢م. الديوان، قدم له صلاح الدين الهوارى، بيروت: دار العلم للملأين
- فعالي، محمد تقي، ١٣٧٨ش. الأيمان الديني في المسيحية والإسلام، طهران: مركز الشباب للأفكار
- فيض، علي رضا، ١٣٧١ش. مبادئ فقه و اصول، طهران: جامعة طهران
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ١٩٩٥م. الديوان، تعليق عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الكتب العلمية
- الموسوي الخميني، روح الله، ١٣٧٠ش. توضيح المسائل، قم: دار إسلامي للنشر والتوزيع
- النايفة الذبياني، معاوية بن زياد، ٢٠٠١م. الديوان، علق عليه غريد الشيخ، بيروت: منشورات الأعلمی

